رمزية الشيطان فى شعر بدر شاكر السياب: قصيدة "اللّعنات" نموذجًا

مريم بخشنده
الاستاذ المدعو فى قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة الكوثر، بجنورد
الدكتور علي رضا حسينى
الاستاذ المساعد فى قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة الكوثر، بجنورد

الدكتور احمد رضا حيدريان شهرى
الاستاذ المشارك فى قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة الفردوسى، مشهد
الدكتور سبحان كاوسي
الأستاذ المدعو في قسم اللغة العربية و آدابها
بجامعة الكوثر، بجنورد

البريد الإلكتروني Email : Alirhosseyni@yahoo.com
sobhan.kavosi@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: الشر، الرمز، الشّيطان، بدر شاكر السيّاب.

كيفية اقتباس البحث

حسينى،علي رضا، مريم بخشنده، احمد رضا حيدريان شهرى، سبحان كاوسي، رمزية الشيطان فى شعر بدر شاكر السياب: قصيدة "اللّعنات" نموذجًا،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢٠، المجلد:١٠ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Symbolism of the Satan in the Poetry of Badr Shakir Al-Siyab: Qasida ""Al-Laanat" as A Model

Maryam Bakhshandeh
The Invited Professor in the Department of Arabic Language and Literature
Al-Kawthar University, Bojnord

Dr. Ahmed Reza Heydariyan Shahri
Associate Professor in the Department of Arabic Language and Literature at Ferdowsi University, Mashhad

Dr. Ali Reza Hosseini
Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature, Al-Kawthar University, Bojnord
E-mail: Alirhosseyni@yahoo.com

Dr. Sobhan Kavousi
The Invited Professor in the Department of Arabic Language and Literature
Al-Kawthar University, Bojnord
E-mail: sobhan.kavosi@yahoo.com

Keywords Evil, Symbol, Satan, Badr Shakir Al-Sayab.

How To Cite This Article
Hosseini, Ali Reza, Maryam Bakhshandeh, Ahmed Reza Heydariyan Shahri, Sobhan Kavousi,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2020,Volume:10,Issue1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract
In religious teachings, an inviting to the good of light, angel and calling for the evil that has darkness, is called Satan. The name of Satan is mentioned in many verses of the Qur'an and prophetic hadiths, as well as in poems, stories and tales. But Satan is in literature, made up of poets and writers themselves and it differs from Satan in the heavenly books The poem "Al-Laanat", which Seyab wrote in the early fifties, is one of

the odes devoted to the subject of Satan. This article aims to study through the descriptive-analytical method, the image of the Satan in this ode, and also the measure of the «Sayyab» effect of the political and social governor conditions on the Iraq and Arab worlds through the use of this symbol. The final outcome of this research shows that the disorder political and social situation of the ruling Arab community have had a great influence on the poet's spirit and has led him to use the many symbols in his poetry to express his inner ideas indirectly; Among these symbols is Satan Which is the symbol of the tyrannical rulers who oppressed the people and used traders, workers, sheikhs, monks and ... to achieve their evil ends. This symbol is shown in several pictures; Among the hatred of the Satan against Adam, his hostility to God and his guardians, the followers and companions of the Satan, Satan on the face of "Lamiaê" and ... .

الملخّص

يُسمّى داعي الخير فى المعارف الدينية . وهو داع نورانىّ . بالمَلَک، وداعى الشرّ الظلمانى بالشّيطان. وقد ورد ذكر الشّيطان كثيراً في القرآن الكريم والأحاديث النبويّة وفى الأشعار والقصص والحكايات أيضا، غير أنّ شياطين الأدب من خلق الشّعراء والأدباء أنفسهم، وهى تختلف عن الشّياطين الّتى تحكى عنها الكتب السّماوىۀ. وقصيدۀ "اللّعنات" الّتى كتبها السّياب فى مطلع الخمسينات(١٩٥٢) إحدى القصائد الّتى عالجت موضوع الشّيطان. وهذا المقال يستهدف دراسۀ صورة الشّيطان فى هذه القصيدة ومدى تأثّر السيّاب بالأوضاع السياسيّۀ والاجتماعيّۀ فى العراق والبلاد العربيّۀ عبر استخدام هذا الرّمز من خلال المنهج الوصفى التّحليلى، فنرى أنّ العوامل السياسيّۀ والاجتماعيّۀ فى المجتمع العربى قد أثّرت تأثيراً بالغاً فى نفسيّۀ الشّاعر وجعلته يستخدم فى أشعاره رموزاً كثيرۀ للتّعبير غير المباشر عن مكنونات صدره، ومنها الشّيطان، إذ هو فى هذه القصيدۀ رمز للطّغاۀ المستبدّين الّذين كانوا يظلمون النّاس ويستغلّون التجّار والعمّال والشّيوخ والرّهبان للوصول إلى أهدافهم الخبيثۀ. وهذا الرّمز يتجلّى فى عدّة صور، منها: حقد الشيطان على آدم، وعداوته لله واوليائه، وأتباع الشيطان وأصحابه، والشيطان فى صورة لمياء، و ... .

المقدّمة

«إنّ الكتب السماوية والمراجع فى التّراث الانسانى كافة، والّتى تبحث عن أصل الشّرّ ومنبعه واستمراره، كعامل خارجىّ محرّض وفعّال للنّفس البشريّۀ عبر التّاريخ، تنسبه إلى قوّۀ ما، أو آلهۀ معيّنۀ كما فى الأساطير التاريخيّۀ القديمۀ؛ كالرّومان، واليونان، والّتى . دائما . هى ضدّ الخير،

الفاعلة والمؤثّرة فى الكون. ومع نزول الأديان السماوىّة، وإرسال الرّسل والأنبياء . عليهم السلام . عبّر التّاريخ البشرى، تمركزت فكرة الشرّ ومنبعه على كائن مخلوق، هو الشّيطان الاكبر، الّذى اتّخذ العداوة ضدّ الانسان منذ خلقه.» (عيسى، ٢٠٠٨م: ١٣)

بدأت فكرة الشّيطان تأخذ مكانها فى أعمال المبدعين شعرا ورواية وأسطورة، ولكن شياطين الأدب تختلف عن شياطين الكتب السّماوىّة فإنّ الشّياطين فى الأعمال الادبىّة تمثّل نفسيّات الشعراء والأدباء الّذين صوّروها وتعكس أوضاع عصرهم السياسىّة والاجتماعىّة. وقصيدة "اللّعنات" الّتى كتبها السّياب إيّام التزامه السّياسى فى نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات من القرن الماضى . وهى أنضج قصائد الشاعر . جاءت فى صورة حوار بين هذا الشّيطان و مردته، عبّر من خلاله عن المعانى السياسية الّتى كان يريد ابرازها. و الشّيطان فى هذه القصيدة رمز للطّغاة المستبدّين الّذين أسدلوا استار الظلام على البلدان العربية، وحوّلوها إلى جهنّم مليئة بالاشقياء والمعذَّبين. والباعث على استعمال هذا الرمز عند السياب هو الظروف الاجتماعية والسياسية الخاصّة فى المرحلة الّتى أنشد فيها هذه القصيدة، ومنها الفقر والحرمان، وموقع الشاعر فى دائرة الخوف والملاحقة وتسلّط الحكام واضطهادهم لكلّ من يحاول إدانتهم بشكل مباشر.

سابقة البحث

هناك الكثير من الكتّاب والشّعراء الّذين كتبوا كتابات أو تغنّوا بقصائد جميلة حول موضوع الشيطان وتحدّثوا بصورة رمزية أو غير رمزية عن الشّيطان وإغوائه لبنى آدم. ومن أهمّ تلك الكتابات يمكن أن نشير إلى كتاب "إبليس" لعبّاس محمود العقاد الّذى بحث فيه عن فكرة الشيطان لدى مختلف الحضارات والمذاهب الدّينية والفكرية وكيف تطوّرت حتّى وصلت إلى ما وصلت إليه، وأقصوصة "عهد الشّيطان" لتوفيق الحكيم الّتى يهب فيها فترة الشّباب للشّيطان والّتى تستغرق ثلاثة عشر عاما لأجل الحصول على المعرفة، وكتاب "خطوات الشيطان" ألّفه سعيد الأعرجى ومارس فيه معانى الشّيطان وأسمائه وقصّة إغوائه لآدم وحواء فى الدّين الاسلامى، و... . وأيضا كثرت الدّراسات حول السّياب وشعره، منها كتاب «رمز و اسطوره در شعر معاصر ايران و عرب: بررسى تطبيقى رمزگرايى در شعر بدر شاكر سياب و مهدى اخوان ثالث» ألّفه محمد جاسم، وتناول فيه الرموز والأساطير المختلفة فى أشعار هذين الشاعرين وأجرى المقارنة بينهما. ومن المقالات الّتى عالجت هذا الموضوع مقالة "واكاوى تصوير قابيل در شعر داستانى المومس العمياء بدر شاكر السياب" لأحمدرضا حيدريان شهرى، التى حاول فيها دراسة شخصية قابيل كرمز للشرّ فى الإنسان المعاصر فى شعر بدر شاكر

السياب، مركّزا على قصيدته "المومس العمياء" غير أنّ تلك الدّراسات تختلف عن موضوع بحثنا تماما؛ لأنّ هذا البحث يتّجه إلى دراسة موضوع الشّيطان عامة والشّيطان فى شعر السياب خاصّة بشكل تفصيلى بالتّركيز على قصيدته "اللّعنات".

المسألة الرئيسة

امّا أسئلة البحث فهى: كيف تجلّت صورة الشيطان فى مختلف الديانات السّماوية وفى الأدب؟ بم تمتاز قصيدة "اللّعنات" للسّياب وكيف ظهرت نظرة الشّاعر فيها؟ وكيف تناول السّياب رمز الشّيطان فى شعره وهل نجح فى توظيف هذا الرمز؟

فرضيّات البحث

يبدو من القراءة المستقصية فى مختلف الأديان السّماوية أنّ صورة الشّيطان تتشابه فى هذه الأديان وهى تتمثل فى الشرّ والظلمة والعبث والإغواء. كما يبدو من قراءة الآثار الأدبية شعرا أو نثرا أن الشّيطان فيها يصوّر حياة أصحابها وأوضاع عصرهم السياسية والاجتماعيّة.

يبدو من قراءة قصيدة "اللّعنات" أن السياب كتبها فى أيام التزامه السياسى اليسارى؛ لأن فكرته الشيوعية واضحة فيها من خلال تعبيره عن الحركات الثورية ضدّ حكومات الاستبداد.

بما أنّ السياب شاعر رمزىّ وأنّه شاعر متشائم بسب ظروف حياته وأوضاع عصره المضطربة سياسياً واجتماعياً، فإنّه يميل كثيراً إلى الرّموز السلبية ومنها الشّيطان، فهو يرى الشيطان خير مثال يستطيع أن يعبّر به عما يجول فى خاطره من افكار سياسى.

أمّا هذا المقال فإنّه يستهدف دراسة هذه الفرضيّات عبر المنهج الوصفى االتّحليلى، لأجل الإجابة عن الأسئلة المذكورة فى ضوء معالجة المحاور التالية: نتناول فى الأول لمحة موجزة عن حياة السياب، ثمّ نعالج موضوع الشّيطان فى مختلف الأديان السماوية وفى الأدب، وفى النهاية نعالج تصوير الشيطان فى شعره بالتركيز على قصيدته "اللعنات".

حياة الشّاعر

«بدر بن شاكر بن عبد الجبّار بن مرزوق السياب(١٣٤٤- ١٣٨٤هـ/١٩٢٦-١٩٦٤م) ولد فى قرية جيكور- إحدى قرى أبى الخصيب فى محافظة البصرة، العراق.» (الجبورى، ٢٠٠٣م: ٣٤٠) «أنهى دراسته الثانوية فى البصرة، ثم دخل دار المعلمين العالية فى بغداد» (أبوسعد، ١٩٥٩: ٢٣٩)، «والتحق بفرع اللّغة العربيّة ثمّ الإنجليزيّة. ومن خلال تلك الدّراسة أتيحت له الفرصة للإطّلاع على الأدب الإنجليزى بكلّ تفرّعاته.» (البصرى، ١٩٩٤: ٥٦٩) «وفى أواسط الأربعينات انتمى إلى الحزب الشّيوعى العراقى، حتى سنة ١٩٥٣... وانضمّ إلى التيار القومى بتأثير من صديقه القديم محيى الدّين إسماعيل، ثمّ أيّد حركة البعث فى الصّحافة كاتبا

ومترجما.» (الجبورى، ٢٠٠٣م: ٣٤٠) أصيب السياب بمرض السل الرئوى فى أواخر حياته، وظل يتنقل بين بغداد وبيروت وباريس ولندن للعلاج دون فائدة، «حتى توفّى عام ١٩٦٤م بالمستشفى الأميرى فى الكويت عن٣٨ عاماً، ونقل جثمانه إلى البصرة ودفن فى مقبرة الحسن البصرى.» (البيرمانى، ٢٠١٠: ٢٤) يعُدّ السياب من روّاد الشّعر الحر فى العراق فى القرن العشرين، وقد أنتج أكثر من ثلاثين ديواناً شعرياً منها: أزهار ذابلة، أنشودة المطر، شناشيل ابنة الجلبي، الأسلحة والأطفال، والمومس العمياء. ونستطيع أن نميّز أربع مراحل فى حياته وفى شعره: «الأولى: الرومانسيّة (١٩٤٣. ١٩٤٨م)، والثانيّة: الواقعيّة (١٩٤٩.١٩٥٥م)، والثّالثة: التّموزيّة أو الواقعيّة الجديدة (١٩٥٦.١٩٦٠م)، والرابعة: الذاتيّة (١٩٦١. ١٩٦٤م).» (السياب، ٢٠٠٠م: ش).

الشّيطان فى الأديان السّماوية

اتّفقت الأديان السّماوية فى الصّفات الّتى تُنسب إلى الشّيطان من القدرة على الشرّ والخبث والفساد وإغواء البشر ودفعهم إلى عصيان الله ثمّ التهلكة، وإن كانت تختلف فى نظرتها اختلافا جزئياً أو كلياً إلى مدى قدرة الشّيطان وإرادته على فعل الشرّ. وقد ورد اسم إبليس في القرآن الكريم في ١١ آية، كما ورد اسم الشيطان في القرآن الكريم في ٥٦ آية. و«من جملة أسمائه الغرور، والخنّاس، والوسواس، والسّفيه، وعزازيل، وطاووس الملائكة، والخبيث، والمهلك، والهاوية، وأطلق عليه إنجيل يوحنّا الاصحاح ١٢ فقرة ٣١ لقب رئيس العالم أى عالم الشّرّ وكنيته ابومرّة.» (الأعرجى،١٤٢٧: ٦٥.٦٤).

وفى الإسلام يُحذّر المسلمون دائماً من الشّيطان ووسوسته، وقد ورد فى القرآن الكريم أنّ عداوة الشيطان للإنسان بدأت منذ أن نفخت الروح فى آدم(ع)؛ إذ أمر الله الملائكة بالسّجود له، فامتثل الجميع لهذا الأمر الإلهىّ، إلا إبليس أبى واستكبر عن السّجود له وعصى أمر الله تبارك وتعالى. قال الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقره: ٣٤)، «فكان جزاء إبليس لعصيانه لأمر الله خروجه من الجنّة إلى الأرض، فكان هذا سبباً لكراهية إبليس لآدم وذريته وتوعّده لهم بإغوائهم أجمعين.» (الطبرى، لاتا: ٤٦٨/١).

تختلف المسيحية واليهودية عن الإسلام فى هذه القصة فى أنهما تعتقدان أنّ الحية أخذت على عاتقها دور إبليس فى الإغواء، فوسوست حواء أوّلا حتّى أكلت من الشجرة الممنوعة، ثمّ أغوت آدم بواسطة حواء و ... . جاء فى العهد القديم: «قالت الحيّة للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنّه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونا كالله بالخير والشرّ، فرأت المرأة أنّ الشجرة جيدة للأكل

وأنّها بهجة للعيون وأنّ الشجرة شهيّة للنّظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا.» (سفر التكوين:٣/ ٦.٤).

الشّيطان فى الادب

تبدّت معرفة العرب الشيطان والجن في كثير من كتاباتهم وشعرهم، « فهم يعتقدون بالشيطان و يعبدونه كما يعتقدون بالملك والجن والحور»(فرهنگخواه، ١٣٧٦ش: ١١٧) حتّى أنّ وادي عبقر . وهو وادٍ في اليمن بالجزيرة العربيّة . شاع عنه أنّ الشّياطين تعيش فيه ومن بينها شيطان الشّعر. «و العرب تزعم أنّ شعراءها تستوحى الجن، و أنّ كلّ شاعر منهم يستعين بشيطان يصاحبه و يعرفه باسمه، فهبيد اسم شيطان عَبيد، و مسحل اسم شيطان الإعشى، و جَهنّام اسم شيطان عمرو بن قطن و... .» (العقاد، لاتا: ١٦٩)

وبدأت فكرة الشّيطان تأخذ مكانها في أعمال المبدعين، شعرًا ورواية وأسطورة. ويمثّل الشيطان في الأدب صورًا عديدة، منها التمرّد على السّلطة الاستبدادية المركزيّة المطلقة، ومنها نكران الجميل، ومنها الخبث والغدر و... .

ومن أشهر شياطين الأدب الغربي شيطان ملتن في "الفردوسين، المفقود والمردود"، وشيطان دانتي الإيطالي في ملحمة "الكوميديا الإلهية"، و شيطان شكسبير فى "العاصفة" و قصّة "فاوست" للمسرحي الإنجليزي مارلو والشّاعر الألماني الكبير غوته ينعت نفسه بأنّه مزيج من الخير والشرّ. وقد تأثّر بعض أدباء العرب بهذه القصّة، ومنهم الأستاذ توفيق الحكيم الّذي كتب أقصوصة "عهد الشّيطان".

والواقع أنّ الأدب العربي لم يُعنَ في تصوير شخصيّة الشّيطان عناية الأدب الغربي. ولعلّ خير ما استطعنا أن نعثر عليه في هذا المجال هو ما أورده أبوالعلاء المعرّي في "رسالة الغفران"، إذ يشير إلى إغواء الشّيطان الشّعراء وحملهم على الكفر والتجديف. ويؤكّد المعرّي في هذه الرّسالة الفكرة العربيّة القديمة القائلة بأن الشّعر مصدره الجنّ والشّياطين إذ يقول: «ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض، لأن إبليس اللعين نفثه في إقليم العرب فتعلمه نساء ورجال.» (المعرى، ٢٥٢: ٤١)

ولم ينتعش أدب الشّياطين إلا في العصر الحديث، بعد أن نُقل عدد من المسرحيّات والقصص الشّيطانيّة من الآداب الغربيّة إلى اللّغة العربية، فتأثّر بها عدد من الأدباء. ولعلّ أهمّ من تصدّوا لفكرة الشّيطان هو نجيب محفوظ في إحدى مجموعاته القصصيّة "القرار الأخير" وفي رواية "ليالي ألف ليلة وليلة" ومسرحيّة "الشيطان يعظ". ومنهم الأستاذ عبّاس محمود العقاد الّذي عالج موضوع الشيطان بالتفصيل فى كتابه "إبليس". ومن هذه الأعمال الأدبية "عهد الشيطان" للمبدع

توفيق الحكيم، و"أشطر من إبليس" لمحمّد تيمور. و من الشعراء المعاصرين الذين بدأوا باستخدام الشيطان و استدعاءه فى اشعارهم نازك الملائكة فى قصيدتيها "مرثية للانسان" و"الهجرة الى الله" و أحمد مطر فى قصائده"عقوبة ابليس"، "ورثة ابليس" و"تطوير مهنى" و بدر شاكر السياب فى قصيدته الطويلة "اللعنات".

تختلف شياطين الأدب و الشعر عن شياطين الكتب السّماويّة، فثمّة فرق بين هؤلاء وهؤلاء. ثمّة فرق بين شياطين القرآن والإنجيل والتّوراة، وشياطين الشّعر والمسرحيّات والقصص. فبقدر ما نَمُقت أولئك، نجد الآخرين محبّبين إلى النّفس رغم سوْءاتهم وعيوبهم ومثالبهم، فهى في الأكثر تمثّل نفسيّات الشّعراء والأدباء الّذين صوّروها. فشيطان "فاوست" يمثّل إلى حدّ ما مؤلّفها غوته، وشيطان "الفردوس المفقود" يمثّل الشاعر الإنجليزي ملتن، وشيطان "العاصفة" يمثّل شكسبير، و شيطان "اللعنات" يمثل السياب، فإذا ما كرهنا هذه الشّياطين فكأنّنا نكره ناحية من عبقريّة غوته وملتن وشكسبير و السياب؛ لأنّها انعكاسات . قلّت أو كثرت . لشخصيّات هؤلاء الأفذاذ الاربعة.

موقع "اللّعنات" فى شعر السّياب

تأثّر السيّاب فى شبابه بالفكر اليسارى، فكتب هذه القصيدة الطّويلة وقصائد أخرى متأثّراً بهذا المذهب فى الاعتقاد ومنهج التّغيير. ولكن قصيدة "اللّعنات" أكثرها حماسة للفكر اليسارى وأقربها إلى الإلحاد والإنكار. وبعد سنين لم تستمرّ طويلاً تخلّى عن هذه الشّيوعيّة وانقلب عليها. وإنّ "اللعنات" الّتى لعنها بعدئذ.. لا تمثّل السياب الشاعر كلّه، بل هى نتاج مرحلة سريعة عابرة لايحبّها من حياته، متبرّئاً منها ومن مثيلاتها. ولذلك لم يوردها فى أيّة مجموعة من مجموعاته الشّعرية الّتى نشرها فى حياته، ثمّ جمعها غيره من بعد وفاته فى مجموعة سمّاها: "قيثارة الريح".

كتب السياب هذه القصيدة فى نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات، وطرح فيها مضموناً سياسياً ملتزماً فى إطار مبتكر مستفاد من "الكوميديا الإلهية". والقصيدة طويلة نُظمت فى مئتين وخمسين بيتاً «على البحر البسيط، وتتألف من عدّة مقاطع لكلّ منها عنوان. والمقاطع مختلفة الطّول، ولكلّ منها قافية واحدة إلا إذا انقسم أجزاء، فلكلّ جزء عندئذ قافيته المختلفة.» (بلاطة، ٢٠٠٧م: ٨٤)

يبدو السياب فى هذه القصيدة عنيفاً شديد العنف فى مشاعره وفى أدوات تصوير هذه المشاعر. وهذا جلىّ فى المضمون الّذى نحسّ بعنفه منذ رؤية عنوان القصيدة. وقد أفاد فيها من معلوماته الثّقافية الّتى اطّلع عليها من شعراء الغرب ومن أساطير اليونان القديمة مثل أسطورة بروميثيوس،

وعبّر فيها عمّا خلب لبّه من حركات ثوريّة على حكومات الاستبداد، وأبرزها الثّورة الشيوعيّة فى بلاد الصّين، فكان يمدحها ويمدح الفلاحين الثّوار بشكل مباشر.

نظرة على قصيدة «اللّعنات»

يروى الشاعر فى هذه القصيدة قصّة الشيطان ومردته. ومنهم الحاكم الطاغى. وكيف أنه يحثّهم على الشرّ ويدعوهم إلى الظّلم وسفك دماء المظلومين، وقصّة الأشقياء الّذين كانوا يعيشون على الضّنك ولا أمل لهم فى القصاص من الظّالمين وما كان لهم غير التّحمّل والصّبر، ولذلك كانوا يشكون أحياناً ويعترضون.

تبدأ القصيدة بالظّلام الّذى خيّم على العالم بأسره وكأنّه وادٍ جهنميّ مظلم يعجّ بالأشقياء من البشر الأحياء والأموات ممّن ظلمهم الطّغاة المستبدّون، وهذا العالم بكر لم يطّلع عليه أحد. وهذا الوادى لم يره دانتى الشاعر المعروف فى كتابه "الجحيم"، ولم يطّلع عليه شيخ المعرّة، أى أبوالعلاء المعرّى، فى"رسالة الغفران". ويشير الشاعر إلى أسطورة بروميثيوس (سارق شعلة النار) ونار جهنّم على أساس دين الاسلام ويجعله رمزاً للثقافة الّتى لا تقدّم للبشر إلا الشرّ والفساد. إنّ السياب يرى أن العالم الّذى فيه الظلم والاضطهاد هو وادٍ من أودية الجحيم:

عذراء؛ ما وطئت رجلٌ مدارجَها كالبحر قاعًا.. وغيبِ الله. شطآنا
وادٍ من النار داجٍ : لا ألمَّ بهِ "شيخُ المعرَّة" يستوحيه "غفرانا"
ولا تخطّى بـ (دانتى) بابَه بصرٌ خاض الجحيمَ دمًا يغلى .. ونيرانا
وادى حَزانى ومظلومين تملؤهُ أطيافُ أحيائنا الغَضبى، وَموتانا (السياب، ٢٠٠٠: ٢/ ٣٦٨.٣٦٩)

تستمرّ القصيدة بشكوى الجموع إلى الله بأنهم ملّوا الانتظار من دون جدوى، وأنّ ظلم الطّغاة حتم إلهىّ عليهم، وأنّ الله يشهد بلواهم، لكن لايفعل شيئاً، ويقولون إنّه إذا كان لايدخل الجنّة إلا الأشقياء فإنّهم سيختارون الدّنيا ومتعتها وموالاة الشّيطان حتّى لو كان مصيرهم يوم القيامة إلى النّار.

ربَّاهُ لَو أَنَّ فِي طُولِ انتِظَارِ غَدٍ جَدوَى لَمَا أَسمَعَتكَ الرِّيحُ شَكوَانَا
مَا كَانَ حَتمًا عَلَينَا أَن يُعَذِّبَنَا طَاغٍ وَأن يَشهَدَ الرَّحمَنُ بَلوَانَا
النَّارُ أشهَى، فَهَاتِ النَّارَ تَصهَرُنَا يَومَ الحِسابِ وَمَتِّعنَا بِدُنيَانَا
إن كَانَ لا يَدخلُ الجَنَّاتِ دَاخِلُهَا إلا شَقِيًّا عَلَى الأولَى وَغرثَانَا
وَكَانَ أَمرُكَ أَن نَرضَى بِمَا صَنَعُوا فَاحفَظ عَبيدَكَ فَالشَّيطَانُ مَولانَا! (المصدر نفسه: ٣٧٠)

تفكير الشّاعر هنا مقلوب؛ إذ ظنّ أنّ الله يرضى بظلم الظّالمين، ولذلك فضّل الشاعر أن يوالى الشّيطان. وهذا نوع من الاعتراض العاطفى المندفع دون تريّث وتدبّر.

إنّ إبليس وعصبته يصغون إلى شكوى المظلومين وهم غافلون عن شهابٍ ساهم النار. ويبدو أن الشّاعر قد أخذ هذا المضمون مما كان يسمعه من القرآن مثل: ﴿إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾(الحجر: ١٨) أو قوله تعالى:﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى... إلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصافات: ٨-١٠)، فيضحك الشّيطان حين يسمع صوتهم ضحكة عالية مخيفة كأنّها من داخل إعصار رهيب حتّى ينقضّ من صوته كلّ منهار:

إبلِيسُ أَصغَى إِلَى الشَّكوَى وَ عُصبَتُهُ ... فِى غَفلَةٍ عَن شَهَابٍ سَاهِمِ النَّارِ

يَا هَولَهَا فِى سُكُونِ اللَّيلِ قَهقَهَةً ... كَأَنَّمَا انفَضَّ عَنهَا جَوفُ إعصـــارِ

دوّى الصَّدَى فِى الكُهُوفِ الجَوفِ يُقلِقُهَا ... فانقَضَّ بِالرَّعدِ مِنهَا كُلُّ مُنهَارِ(المصدر نفسه: ٣٧١)

وتستمرّ القصيدة بالحوار بين الشّيطان وأحد مردته وهو الحاكم الجبّار. ويدور كلامهما حول الشاعر المغرم بالدّنيا والشاعر الملتزم. والشاعر المحبّ للدنيا الباحث عن متعتها السّاكت على الظّلم الغافل عن الكادحين الغرثى والأيامى الجائعات، هو الشّاعر الّذى يحبّه الشيطان ويفضّله على الملتزمين من الشّعراء:

«...هَذَا هُوَ الشَّاعِرُ الفَانى تُخَلِّدُهُ ... أُنشُودَةٌ تَعبرُ الأجيَالَ غَنَّاهَا»

«حَتَّى رَآهَا، فَغَنَّى بِابتِسَامَتِهَا ... وَأخفَتِ الظُّلمَ عَن عَينَيهِ عَينَاهَا»

«لا أَدَّهُ الكَادِحِ الغَرثَانَ ..تُلهِمُهُ ... شِعرًا، وَلا الايمُ الغَرثَى وَطِفلاهَا»

«سَكرَانَ يَصحُو عَلَى كَأسٍ، فَيُثمِلَهُ ... مَا عَبَّ مِنهَا، وَيَستَوحِى بَقَايَاهَا» (المصدر نفسه: ٣٨٥)

امّا الشّاعر الملتزم الّذى يهتمّ بقضايا النّاس ونشر العدالة. وهو عادةً ما يكون فى نظر السياب من اليساريين. فمكانه السّجن المظلم الّذى لا يدخل فيه أىّ نور حتّى ضوء النّهار، وليس فيه على قدر الإصبع الحذر مكان للاستراحة، وهو مكان احتضار الضّحايا:

فِى غُرفَةٍ خَافَ أن يَجتَازَ مَدخَلَهَا ... ضَوءُ النَّهارِ فَغَشَّى جَوَّها الكَدَرُ

جُدرَانُهَا الرَّاعِبَاتِ السُّودِ مَا استلَمَت ... إلا لُهاثَ الضَّحَايَا وَهِىَ تُحتَضَرُ

يَستَقبِلُ اللَّيلَ لا أقدَامُهُ امتَلَكَت ... أرضًا سِوَى مَا يَمسُّ الاصبَعُ الحَذِرُ(المصدرنفسه: ٣٨٨)

وتصل الأزمة إلى قمّتها حينما تعمد الجماهير الجائعة الفقيرة إلى الثّورة لإزالة الظّلم والطّغيان، وتمتلك زمام الأمور بيدها. إنّ الشّاعر هنا يشير إلى ثورة الصّين الشيوعيّة، ويرى أنّها ضدّ الطّغيان وضدّ عمل إبليس:

اليَومَ قَد هَبَّ شَعبُ الصِّينِ مِن أسرٍ ... فَاللَّيلُ يَنجَابُ وَالأغلالُ تَنزَاحُ (المصدر نفسه: ٣٩٦)

وهو يرى أناشيد الفلاحين الثّائرين خالدة كأنّها من شعر هوميروس الشّاعر اليونانى القديم:

فِى ثَغرِهَا غُنوَةٌ حَمرَاءُ.. يَنقُلُهَا مِن ثَغرِ هُومِيرَ لِلأسمَاعِ فَلاحُ (المصدر نفسه: ٣٩٦)

وإبليس يجنّد الأجنّة لكى يقف أمام هذه الثّورة ويهزمها، لكنّه لاينجح.. فينزاح الظّلام الّذى نشرته غربانه السّود (الحكام الظالمون) وتنجح الثّورة. يقول الشّاعر بلسان أحد مردة الشّيطان:

وَارتَجَّ فِيهَا خَيالٌ مِن يَدٍ حَطَمَت غِلّاً مِن العَارِ يَصدَأُ فَوقَهُ القِدَمُ

وَانجَابَ عَنهَا ظَلامٌ كَانَ يَنشُرُهُ غِربَانُكَ السُّودُ حِينَ اجتَاحَهُ الضَّرَمُ (المصدر نفسه: ٤٠٣)

ثم يشير الشّاعر إلى الثّورات والحركات التّحرريّة فى جبل شيرين، وهو جبل أشمّ فى منطقة بارزان الصامدة. وهو رمز لمصطفى البارزانى زعيم الحركة الكردية فى شمال العراق؛ لأنّ البارزانى فى تلك الحقبة من الزّمن كان ملاذاً ومساناداً للّذين يدافعون عن حقوق الشّعب العراقى. اختار الشّاعر هذه المنطقة بالذّات كي يعبّر عن رأيه ويؤدّي ما يراه من واجبه الإنساني إزاء الّذين يضحّون بحياتهم من أجل وطنهم وشعبهم، وهي في فترة اندفاعه السياسي القوىّ. يقول الشاعر:

وَلاحَ شيرينُ فِي الظَّلمَاءِ، تَحسَبُهُ أكدَاسَ غَيمٍ تُغَطِّي جَانِبَ الوَادِي

صَاغَ الجَلِيدُ لَهُ تَاجاً لآلئُهُ نَارُ الرُّعاةِ وَظِلُّ الكَوكَبِ الهَادِي

وَاصطَكَّتِ الرِّيحُ تَعوِي فِي مَغاوِرِهِ كَالمُستَغِيثِ وَقَد شُدَّت بِأصفَادِ

وَسدَّتِ الأفُقَ الشَّرقِيَّ أخيِلَةٌ سُودٌ كَمَوتَى أفَاقُوا دُونَ مِيعَادِ

تَدنُو فَيَنحَلُّ عَنهَا مَا يُخالِطُهَا مِن عَتمَةِ اللَّيلِ إذ تُكسَي بِأجسَادِ

حَتَّى استَقَرَّت عَلَى(شيرينَ) مَا بَينَ تِلكَ الذُّرَى فِي زِيِّ أكرَادِ(المصدرنفسه: ٤٠٠.٤٠١)

وَانتَصَبَت

وفى نهاية القصيدة يتكلّم الشّاعر مرّة أخرى عن ثورة الصّين ويرى أنّ نجاح هذه الثورة كان نتيجة سعى قائدها (ماو تسى تونغ الّذى كان زعيم دولة الصين سنوات طويلة) ونتيجة دم الضّحايا الّذين ضحّوا بأنفسهم فى سبيل الانتصار:

هَذَا دَمُ الصِّينِ، هَذَا جُهدُ ذَاكَ ابتِسَامُ الضَّحَايَا، تِلكَ أَثمَارُ(المصدر نفسه: قَائِدِهَا ٤٠٧)

وهو يمدح ثورة الصّين ويفخر بها، ويرى جمهوريّة أفلاطون لا تقاس إلى ثورة الصّين، وايتوبيا (المدينة الفاضلة) بالنسبة إليها نوع من السّراب. يعنى أنّ العدالة فى الصّين أكثر من أيتوبيا وأوفر عدالة من جمهوريّة أفلاطون، وأنّ الفيلسوف الحرّ يُقبل إلى ثورة الصّين وينزاح السّتار البالى القديم ويرى الحرّية:

طَافَت رُؤَاهَا بِأفلاطُونَ بَاهِتَهً ألوَانُهَا، فَاكتَفَى مِنهَا بِأظلالِ
إعتَادَتِ الشَّاعِرَ الوَسنَانَ فَائتَلَقَت أَبوَابُ إيتُوبِيَا الزَّرقَاءُ كَالآلِ
حَتَّى إذَا امتَدَّت الأيدِى لِتَطرُقَهَا ذَابَت فَلَم يَبقَ إلا مَحضُ أقوَالِ
وَأقبَلَ الفِيلَسُوفُ الحُرُّ وَ انتَزَعَت كَفَّاهُ خَيطَ السِّتَارِ القَاتِمِ البَالِى (المصدر نفسه: ٤١٦)

خيّم على القصيدة جوّ مظلم يعلو فيه الصخب المحتدم. والألوان الّتى تعاطاها الشاعر فيها زادت من رعب هذا الظّلام، إذ يغلب على القصيدة اللّون الأسود القاتم والأحمر الدّامى. كما استعمل الكلمات الّتى تثير فى النفس الوحشة والانزعاج كـ اللّيل، والقبر، والدم، والميّت، والنار، والنجيع الرَّطب، والظلماء، و... .

هذه القصيدة . كما رأينا. ذات صبغة دراميّة بسبب وجود عناصر الدّراما فيها، ومنها الصّراع بين رموز الخير والشّر . فإنها تجمع الصّراع والنّزاع المتكاثر بين الشّيطان وجنّه والطغاة من طرف، وبين الشّعوب من طرف آخر. وفى النّهاية تنجح قوى الخير فى التغلّب على قوى الشرّ، فنرى «أنّ الجماهير الجائعة الفقيرة تعمّد إلى الثّورة لإزالة الظّلم والطّغيان وتمتلك زمام الأمور بيدها. وتحظى الصّين الشّعبيّة من الشّاعر بتعاطف عميق فى ثورتها الحمراء، ويقف الإنسان فى نهاية الأمر وهو سيّد مصيره فى عالم عدل ترفرف عليه أجنحة السلام.» (بلاطة، ٢٠٠٧م: ٨٤) . والحوار بين شخصيّاته، وظاهرة التّناصّ مع الكتب الأدبيّة والسّماويّة، والحركة والتّحوّل فى القصيدة، و... .

رمزية الشّيطان فى القصيدة

١. الشيطان رمز للحكام الظالمين والطغاة المستبدين

الشيطان من الشّخصيّات المنبوذة الّتى حلّت عليها اللّعنة لتمرّدها على إرادة الله. واستخدم كثير من الشعراء والأدباء فى العصر الحديث هذه الشخصية فى شعرهم بوصفه رمزاً للشّرّ والقبح والخبائث، ومنهم بدر شاكر السياب الذي استدعى شخصيّة الشّيطان فى قصيدته المذكورة بشكل محورى لتجسيد قوى الشر وشُرور الإنسان المعاصر؛ فهو يرمز به إلى الطّغاة المستبدّين الّذين سيطروا على البلاد العربيّة آنذاك، يظلمون الناس وينشرون الخبث والفساد فى البلاد. إنّه يراهم شياطين العصر، ويشبه أتباعهم الذين جهّزوا بأنواع الاسلحة للظّلم وسفك دماء النّاس الأبرياء: يشبههم بأفراس مجنحة بالنّار والكبريت والّتى لجمها من الأفاعى المرقّشة:

واحتَثَّ إبلِيسُ أَفرَاسًا مُجَنَّحَةً بِالنَّارِ حَمرَاءَ وَ الكبرِيتِ مُلتَهِبَا
رُقشُ الثَّعابِينِ فِى أَفوَاهِهَا لُجُمٌ وَالرِّيحُ فِى مِنخَرَيهَا تَنفُخُ القَصَبَا(المصدر نفسه: ٣٧٥)

٢. حقد الشّيطان على آدم

أشار السياب فى هذه القصيدة إلى قصّة حقد الشيطان على آدم، وهى، على ما أشرنا فى المقدّمة، أنّه حينما أمرت الملائكة بالسجود للمخلوق الأوّل، أساء الشّيطان التقدير وانفعل بغروره بنفسه وشعوره بالتّعالي على هذا المخلوق الجديد؛ لأنّه مخلوق من طين حارّ وهو مخلوق من نار، فرفض السجود لآدم فطُرِد من رحمة الله. ومنذ ذلك الوقت حقد الشّيطان على آدم وتوعّده بالإغواء والإفساد. وكسب الشّيطان أوّل معركة له، إذ تسبّب بإغوائه في إخراج آدم وحواء من الجنّة والحكم عليهما وعلى نسلهما بالعيش في الأرض إلي الأبد. يقول السّياب على لسان الشّيطان:

يَا آدَمُ المَجبُولُ مِن حَمَأٍ تحيِيه مِن تَحتِ أَقدَامِى يَدُ البَارِى
لايَبرَحُ الحِقدُ بِى أفعى تَعُبُّ دَمِى عَبًّا وَتَنفُخُ فِى صَدرِى إلَى النَّارِ
أَطلَقتُهَا أَمسِ يَومَ التِّينِ نَافِثَةً فِى أُذنِ حَوَّائِكَ الحَمقَاءِ أَسرَارِى (المصدر نفسه: ٣٧٢)

ويلاحظ أن السّياب استلهم فى هذه السطور ملامح الشيطان فى الكتاب المقدّس الّذى تمثّل فى صورة الحية لحواء وأغواها و وسوس لها بأكل الثمرة المحرمة و ... .

أخذت هذه العداوة شكل الصّراع المستمرّ طيلة الحياة، ولم يقف عند آدم وإنّما انتقل إلى بنيه، فقتل قابيل أخاه هابيل بوسوسة من الشّيطان، ومنه امتدّ الظّلم فى الحياة البشريّة:

وَقَالَ: أمَّا عَنِ الدُّنيَا فَمَا بَرِحَت أَيَّامُ قَابيلَ سَكرَى بِالدَّمِ الجَارِى
وَالعَالمُ الحَاطِمُ الذَّرَّاتِ . يَدفَعُهَا كَيفَ اشتَهَى . بَاعَ اَغلاهَا بِدِينَارِ (المصدر نفسه: ٣٧٤)

يشير الشاعر هنا بشكل غير مباشر إلى أنّ الظّلم من عمل الشّيطان، والظّلمة هم أصحابه، والعالم الّذى صنع القنبلة الذريّة وألقاها على اليابان عالم شيطانى.

٣. خدم الشّيطان وأصحابه

يعتقد السياب أنّ للشّيطان خدماً وأولياء وورثة على وجه الأرض يغوى النّاس بهم، وهم لعبة فى يده يعملون كما يشاء هو. ومنهم أهل الشّك والتّرديد:

أورَثتُهَا مَن يَشَاءُ الشَّرُّ مِن خَدَمِى بَاتُوا شُكُوكًا وَبَاتُوا فِى يَدِى لُعَبَا (المصدر نفسه: ٣٧٦)

ومنهم الرّاهب والشّيخ، المسيحىّ والمسلم، الّذين يأخذون عن الشّيطان، فهم من خدمه:

كَم أوقَدَ الرَّاهِبُ القَندِيلَ مِن لَهَبِى وَاستَقطَرَ الشَّيخُ مِمَّا أهمِسُ الخُطَبَا (المصدر نفسه: ٣٧٧)

ومنهم التّاجر الجشع النّاهب الّذى يأمر النّاس بالعبادة ليتفرّغ هو لجمع المال والذّهب، فهو ظلّ الشّيطان على الأرض:

أَلقَى عَلَى الأرضِ ظِلِّى تَاجِرٌ جَشِعٌ يُخفِى بِهِ عَن عُيُونِ النَّاسِ مَا نَهَبَا
قَالَ: اسجُدُوا خُشَّعًا، حَتَّى إذَا سَجَدُوا عَافَ المُصَلَّى وَأَمسَى يَجمَعُ الذَّهَبَا (المصدر نفسه: ٣٧٧)

ومنهم الحاكم الظالم الّذى يفسد فى الأرض فسادا، وشرابينه هى الأوتار الّتى يعزف بها الشيطان، وإنّه دليل بقاء الشيطان على الأرض:

إن كنتُ لا أتركُ الدُّنيا يعيثُ بِهَا طاغٍ شرابينُهُ الحَمراءُ أوتارى (المصدر نفسه: ٣٧٣)

وله خنجر قتل به كثيراً من الخلق حتّى اعوجّ من كثرة الضرب:

لِى خَنجَرٌ طَالَمَا احمَرَّت مَضَارِبُهُ حَتَّى صَدِئنَ احمِرَارًا وَانحَنَى تَعَبا (المصدر نفسه: ٣٧٨)

وإنّه يريد أن ينتقم من كلّ شّىء حتى من الصّباح ومن الضّحى. وهو فى خياله يقلع عين الصّباح بأظفاره ويمزّق الضّحى من شدة غضبه، وإنّ شاطئ دجلة ينهدم وينهار فيها خوفاً، ونوح كان هناك ويرتاع أن يصنع سفينة نجاة:

حَتَّى سَمَلتُ بِأَظفَارِى عَلَى خَنَقٍ عَينَ الصَّبَاحَ وَمَزَّقتُ الضُّحَى غَضَبَا
وَانهَارَ فِى دجلَةَ الرَّعناءِ شَاطِئُهَا فَارتَاعَ "نوحٌ" يُعِدُّ القَارَ وَالخَشَبَا(المصدر نفسه: ٣٨٠)

يشير الشاعر بصورة غير مباشرة إلى الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة التى كانت ساعدة فى العراق، فإنّ الحكّام يظلمون الناس، والرّهبان والشّيوخ انحرفوا عن الدّين واشتغلوا بالدّنيا ومتعتها، والتّجار قد جُرّدوا من إنسانيّتهم وتخلّوا عن شعائرهم الدّينية مشغولين بجمع الأموال لأنفسهم، وهذه المسائل هى الّتى يعانيها السّياب ويراها أعمالاً شيطانيّة.

٤. عداوة الشّيطان لله وأوليائه

يعترف الشيطان بعداوته لله تعالى وأنبيائه وانزعاجه من تسبيح العباد لله سبحانه ومن لعنهم له(الشيطان)، وهو يريد أن يهاجم الله (عز وجل) من شدّة غضبه ويقتحم آفاق السّموات؛ لأنّه ممنوع من الصّعود إلى السّماء:

أمَّا السَّمَاءُ فَقَد سَدَّت مَسَالِكَهَا مِن خَصمِيَ الظَّافِرِ الجَبَّارِ أَشبَاحُ
مَازَالَ فِيهَا يَحِفُّ الأنبِيَاءُ بِه حَفًّا، وَتُزجِى لَهُ التَّسبيـــــحَ أروَاحُ
وَاللَّعنُ حَظِّى إذَا مَا آيَةٌ تُلِيَت أَو رُتِّلَت بِاسمِهِ المَرهُوبِ أمدَاحُ
لأجعَلَنَّ سَمَاءَ اللهِ لِى هَدَفًا أَحتَلُّ آفَاقَهَا القُصوَى وَأَجتَاحُ(المصدر نفسه:

(٣٩٥.٣٩٤

نرى أنّ شيطان السّياب أكثر تمرّداً من شيطان الأديان السّماويّة؛ لأنّ الله تعالى ينبّهنا فى الآيات الكريمة إلى أنّ الشّيطان عدوّ لنا، ولكنّنا لم نقرأ ولا آية واحدة يقول فيها الله عزّ وجلّ بأنّ الشّيطان عدوّ له، فلم يتّخذ الشّيطان عدوّاً مع أنّه تعالى حذّرنا من الشّيطان وأمرنا بأن نتّخذه عدوّا. قال الله تعالى فى كتابه (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر: ٦)

لعل السّياب أراد أن يقول إنّ الطّغاة الّذين هم فراعنة العصر قدتجاوزوا الحدّ فى الظّلم والفساد والقبح، فهم أعداء الله كما كان فرعون عدوّ الله؛ فإنّهم يجبرون النّاس على إطاعتهم ويظلمونهم ويقتلونهم ولا يرحمون الصّغير ولا الكبير ولا الشّجر ولا الحجر.

٥- الشّيطان داعى الشّرّ

والشّيطان يحثّ الطّغاة على كل شرّ وقبح، فهم أفعوان الشّيطان يسيرون فى الأرض ويفسدون فيها ويملؤون أكوابهم من دماء الناس. يقول السياب على لسان أحد مردة الشيطان:

يَا سيِّدَ الشَّرِّ . وَالحُكَّامُ مَالِئَةٌ أكوَابَهُم مِن دِمَاءِ الفِتيَةِ الراحُ

أَطلَقتَ أَفعَاكَ فِى الظَّلمَاءِ، فَانطَلَقَت غَرثَى عَلَى الكَوكَبِ الأرضِىِّ تَجتَاحُ (المصدر نفسه: ٣٩٥)

وَإبليس ملك الظّلام ينزله إلى الأرض وينشر فيها الخطايا:

وَقَالَ إبلِيسُ وَالظَّلمَاءُ رَاعِشَةٌ مِن تَحتِهِ أَمعَنَت نَحوَ الثَّرَى هَرَبَا

الأرضُ لِى مَا عَلَيهَا مَن يُنَازِعُنِى الخَطَايَا (...) لِلخَنَى نُصِبَا (المصدر نفسه: ٣٧٦)

يرى السّياب أنّ الحروب من عمل الشّيطان، فإنّه يحثّ أفراسه المجنّحة لإشعال نار الحرب، ولُجُم هذه الأفراس ثعابين مرقّشة ونعلها قلوب الطغاة القتلة، يرتجف منها حتّى حجر الطريق إذا جرت عليه هذه الأفراس:

واحتَثَّ إبليسُ أفراساً مجنّحةً بِالنَّار حَمراءَ، والكبريتِ مُلتهِبا

رُقشُ الثّعابين فى أفواهها لُجُمٌ وَالرِّيحُ فى مِنخَرَيها تَنفُخُ القَصَبا

قد أُنعِلَت قَلبَ سَفَّاحٍ وطاغية فلو تَمَسُّ الحجارَ الجامدَ ارتَعَبا (المصدر نفسه: ٣٧٥)

٦. الشّيطان سيّد النّار

والشيطان فى هذه القصيدة سيّد ومولى النّار يحكم بها على عالم المظلومين ويعذّبهم. ويقول السّياب على لسان أحد مردة الشّيطان:

يَا سيِّدَ النَّارِ، نَادَى مَارِدٌ قَدَحَت عَينَاهُ نَارًا، وَقَد أَفضَى بِمَا رَغِبَا

يَا سيِّدَ الهُوَّةِ الحَمرَاءِ مِن سقرٍ لازِلتَ رَبَّ الخَطَايَا وَالخَنَى حِقَبَا
حَتَّى إِذَا انصَبَّتِ الأزمَانُ فِى أَبَدٍ ظَمآنَ أَصبَحتَ ظِلاً فِيهِ مُلتَهِبَا (المصدر نفسه: ٣٧٧)

وظاهرٌ أنّ التعبير عن إبليس بأنّه "سيد النّار" غريب على الثّقافة الإسلاميّة، ويبدو أنّ السّياب أخذ هذا التعبير من الأساطير اليونانيّة الّتى تتحدّث عن "العالم السفلى" المظلم؛ إذ لا سيادة واقعيّة لإبليس فى سقر. وإنّ إبليس يعلم كما يعلم مردته أنّ أعمالهم الخبيثة فى الّدنيا أنّما مآلها إلى النّار. حتّى إذا فنيت الأزمنة ودخل الخلق فى عالم أبدى فى الآخرة غدا الشيطان ظلاً ملتهباً فى جحيم الأبد لايقدر على إنجاء نفسه، فضلاً عن إنجاء مردته وأتباعه. وفى التّعبير عن مصير الشّيطان . الّذى كان فى الدّنيا يصول ويجول . بأنّه اصبح مجرّد ظلّ هو اعتقاد من السّياب بأنّ مآل الخطايا والخنى إلى الانزواء والاندثار المحتوم.

ولعلّنا نلاحظ أنّ تعبير الشّاعر عن الأبد الظمآن الّذى لايرتوى . ويريد به أبديّة سقر . يستلهم القرآن الكريم فى تصويره لكلام جهنّم نفسها، إذ يقول لها الله تعالى: (هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) (ق: ٣٠)

٧. الشّيطان فى صورة لمياء

لمياء فتاة ربّما كان قد أحبّها السياب فى بغداد لكنّها هجرته إلى غيره، وربّما هى رمز لبغداد الظّالمة الّتى رضيت أن يحكمها الفاجرون، أو أنّ لمياء رمز لمتاع الحياة الدّنيا ومَلذّاتها يغوى ويضلّ الشيطان بها بنىآدم.

إن هذه الفتاة الرمزية (الّتى تشير إلى القدرة على استمالة نفوس النّاس وإغوائهم) قد صرعت من النّاس كثيرين لكنّ السياب اختار التركيز على شخصيّة واحدة من بين النّاس، لأنّها شخصيّة حسّاسة تستخفّها مظاهر الزّينة والجمال، هى شخصية "الشاعر". إنّ شعراء كثيرين قد اضطرمت رغبتهم فى هذه الفتاة لمّا شاهدوها وحسبوا أنّهم سيلقون فيها من المتعة والأنس ما يطلبون، فإذا هم ضحايا قد فتك بهم السمّ القاتل الذى كان ينتظرهم مخبوءً تحت جلدها الناعم:

مَا كَانَتِ الغادةُ السَّكرَى سِوَى قَدَحٍ أسقِى بِهِ السَّمَّ، فَانظُر بَعضَ قَتلاهَا:
هَذَا هُوَ الشَّاعرُ الفاتى تُخَلِّدُهُ أنشُودَةٌ تَعبرُ الاجيالِ غَنَّاهَا
حَتَّى رَآهَا فَغَنَّى بِابتِسامَتِهَا وَأخفَتِ الظُّلمَ عَن عَينَيهِ عَينَاهَا
لا أَنَّهُ الكَادِحِ الغَرثَانِ ..تُلهِمُهُ شِعرًا وَلا الأيِّمُ الغَرثَى وَطفلاهَا
سَكرَانُ يَصحُو عَلَى كَأسٍ فَيُثمِلُهُ مَا عَبَّ مِنهَا، وَيَستَوحى بَقَايَاهَا (المصدر نفسه: ٣٨٥)

وقد رسم السياب صورة فنية لهذا الشاعر الذى كان شعره رائعا يخلّده تاريخ الأجيال، لكنه ما أن رأى هذه " الغادة السكرى" حتى وقع فى حبائلها، ولم يعد يرى شيئاً فى الدنيا سواها، وكأنّه نسى الظلم الّذى كان يشهده فى العالم وينتقده ويقارعه بشعره، ونسى جوع الجياع والجائعات وأنّات المظلومين المحرومين.

نتائج البحث

يُعدّ الشّيطان فى الديانات السّماويّة مظهر الشّرّ والخبث والوسوسة والإغواء. وظهر فى الأعمال الادبية يمثّل نفسيّات أصحاب تلك الآثار وأوضاع عصرهم السّياسية والاجتماعيّة. وفى الأدب المعاصر يستعمل رمزاً لقوى الشر والظّلم والفساد.

كتب السياب قصيدة "اللعنات" الّتى جاهر فيها بالإلحاد الدينى فى ذروة اندفاعه الشيوعى فى بغداد وعبّر فيها عمّا استهواه من حركات ثورية ضدّ حكومات الإستبداد وأبرزها الثورة الشيوعية فى بلاد الصين، فكان يرى فيها . كشأن أغلب اليساريين فى العالم الثالث . مثالا يحتذى لنهضة الشعوب. وأفاد السياب فى هذه القصيدة من الرّمز إفادات دينية أدبية سياسية رائعة ووظّف صورة الشّيطان بالتّأثر من مختلف الدّيانات فى سياق مشترك مؤثّر على القارئ ومستلهم من التّعاليم السّماوية، فتتّفق هذه الصورة مع مدركات المتلقّى اتّفاقاً كاملاً بحيث تحوّلت فيها الرّموز إلى نسيج شعري متدفّق شديد الارتباط بالحاضر وبالحياة المتعاصرة، فقد نجح السياب فى استعمال الرّموز وإيصال أغراضه السياسيّة إلى المتلقّي، وقد لبّت الرّموز حاجات الشاعر وأغراضه الشّعرية وأسهمت إسهاما فعّالا فى إضاءة الواقع.

أما السّياب فقد عمد فى هذه القصيدة إلى توظيف شخصية الشّيطان، رامزاً به إلى الطّغاة المستبدّين الّذين يظلمون النّاس ويستعبدونهم. وهذا الرّمز يتجلّى فى عدّة صور، وهذه الصّور مأخوذ بعضها من القرآن الكريم والكتاب المقدّس وبعضها مُستمدّ من حياة الشّاعر وأوضاع عصره الاجتماعيّة والسياسيّة، فالشّاعر يعتقد أنّ وجود الطّغاة هو الّذى أدّى إلى أن لا يترك الشيطان الدّنيا، إذ الظّلم من عمل الشيطان والظّلمة هم شياطين العصر وأصحابهم عبدة المال والعمّال والشّيوخ والرهبان الّذين مالوا إلى الدّنيا وأُغرِموا بمُتَعها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم. (١٣٩١). ترجمه مهدى الهى قمشه‌اى. چاپ دوم. تهران: هادى.
الكتاب المقدس اى كتب العهد القديم والعهد الجديد. (لا.ت). وقد ترجم من اللغات الاصلية وهى اللغة العبرانية والكلدانية واليونانية.
ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٣هـ). لسان العرب. ط٣. بيروت: مؤسسة التاريخ العربى.
أبو سعد، أحمد. (١٩٥٩). الشعر والشعراء فى العراق. بيروت: دار المعارف.
الأعرجى، السيد سعيد. (١٤٢٧هـ). خطوات الشيطان. ط١. ايران: قم.
البصرى، مير. (١٩٩٤م). أعلام الأدب فى العراق الحديث. بيروت: دار الحكمة.

بلاطة، عيسى. (٢٠٠٧م). بدر شاكر السياب، حياته و شعره. ط٦. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
البيرمانى، فرح غانم. (٢٠١٠م). المرأة فى شعر السياب. بيروت: الدار العربية للموسوعات.
الجبورى، كامل سليمان. (٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ). معجم الشعراء من العصر الجاهلى حتّى سنة ٢٠٠٢م. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون.
خزائلى، محمد. (١٣٥٠). اعلام القرآن. تهران: مؤسسه انتشارات اميركبير. چاپ دوم.
السياب، بدر شاكر. (٢٠٠٠م). ديوان بدر شاكر السياب. تقديم: ناجى علوش. بيروت: دار العودة.
الطبرى، محمد بن جرير. (لاتا). جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري). لامک: دار هجر للطباعة والنشر.
العقاد، عباس محمود. (لاتا). إبليس. بيروت: دار الكتاب العربى.
عيسى، حاتم. (٢٠٠٨م). السحر والجان والشّيطان عبر الأديان السّماوية. ط١. دمشق: دار الأوائل.
المعرى، أبوالعلاء. (١٩٦٣). رسالة الغفران. تحقيق و شرح: عائشة عبدالرّحمن. ط٣. القاهرة: دار المعارف.

Sources and references

1. Holy Quran. (١٣٩١). Translated by Mahdi Al - Hami. Second Edition. Tehran: Hadi.
2. The Bible, means the books of the Old Era and the New Era. (No Date). It has been translated from the original languages and is the Hebrew, Chaldean and Greek languages.
3. Ibn Manżoor, Mohammed bin Mokrram. (١٤١٣). "Lisan El-Arab". Edition ٣. Beirut: «Institute of Arab history».
4. Abu Saad, Ahmed. (١٩٥٩). Poetry and Poets in Iraq. Beirut: Dar Al Ma'arif.
5. El-Araji, El-Seyyed. Saâid. (١٤٢٧). Khot'uwat Al-sheyt'an. Iran. Qom.
6. Al-Basri, Mir. (١٩٩٤). ê âlam Êl- Ârdab Fi Êl- Iraq Êl- Ħadiċ. Beirut: Dar Al-Hakamah.
7. Balat'a, Âissa. (٢٠٠٧). Badr Shakir Al-Sayyeb, His Life and Poetry. Edition ٦. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
8. El-Bayramani, Farah Ğanem. (٢٠١٠). Women in the poetry of the Sayyab. Beirut: Dar Al-Arabiya for Encyclopedias.
9. Jaboury, Kamel Seliman. (١٤٢٤/٢٠٠٣e). Dictionary of Poets from the Era of El-Jahilia until the Year ٢٠٠٢. I. Beirut: Dar Al-Kutub El-Alami'ah, published by Muhammad Ali Bayẑun.
10. Khazaêli, Mohammad (١٣٥٠). Êâlam Êl-Quran. Tehran: Institute of Amir Kabir Publishing. Second Edition.
11. El-Sayyab, Bader Shaker. (٢٠٠٠). Diwan Badr Shakir Al-Sayeb. Introduction: Naji Âlwash. Beirut: Dar Al-Awda
12. Al-Ťabari, Mohammed bin Jarir. (No Date). Ġami â El-Bayan Ân Têwyl Aya El-Quran Tafsyr El- Ťabary. (no place): Dar Hager for Printing and Publishing
13. El-Âqqad, Abbas Mahmoud. (no date). Iblis. Beirut: Dar El-kutub El-Ârabi.
14. Âisa, Hatem. (٢٠٠٨). Magic, armies and Satan through the heavenly religions. Edition ١. Damascus: Dar El-Êwaêil.
15. Al-Maâarri, Abu El-Âala. (١٩٦٣). " Risala El-Ğofran". Investigation and Explanation: Âêisha Âbdu El-raħman. I. Cairo: Dar Al-Ma'aref